

المعاشرة التفاضلية في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور محمد كاظم رحمان ستايش

أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة قم

الدكتور علي احمد ناصح

أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة قم

جمال عادل ماصح حسين طالب الدكتوراه في جامعة قم

Differential Association in the Holy Qur'an Professor Dr. Mohammad

Kazem Rahman Setayesh

Professor of Qur'anic and Hadith Studies, University of Qom

Email: kr.setayesh@gmail.com

Dr. Ali Ahmad Naseh

Professor of Qur'anic and Hadith Studies, University of Qom

Email: aa.naseh@qom.ac.ir

Jamal Adel Masikh Al-Hussein

PhD Candidate at the University of Qom

gamaladel1414@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم المعاشرة التفاضلية في ضوء القرآن الكريم، من خلال بيان أثر البيئة الاجتماعية ورفقة الأفراد والجماعات في تشكيل سلوك الإنسان وتوجيهه نحو الصلاح أو الانحراف. وينطلق البحث من أن السلوك الإنساني لا يتكون بمعزل عن المحيط الاجتماعي، بل يتأثر بالأفكار والقيم والأنماط السلوكية التي يكتسبها الفرد نتيجة مخالطته المستمرة للآخرين. وقد عرض القرآن الكريم نماذج متعددة تبيّن أثر الصحبة والقوة والوسط الاجتماعي في بناء الشخصية، كما حذّر من مصاحبة أهل السوء والانقياد لضغوط الجماعة المنحرفة، ودعا إلى اختيار الرفقة الصالحة التي تعزز الإيمان والقيم الأخلاقية. واعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع الآيات ذات الصلة وتحليل دلالاتها الاجتماعية والتربوية. وخلص إلى أن التصور القرآني للمعاشرة التفاضلية يجمع بين تفسير أثر المحيط الاجتماعي في السلوك وتقرير مسؤولية الإنسان عن اختياراته، كما يقدم مجموعة من التدابير الوقائية والعلاجية للحد من الانحراف، في مقدمتها إصلاح البيئة الاجتماعية، وتعزيز الرقابة الذاتية، وترسيخ القوة الحسنة. **الكلمات المفتاحية:** المعاشرة التفاضلية، القرآن الكريم، البيئة الاجتماعية، الصحبة، الانحراف السلوكي.

Abstract

This study examines the concept of differential association in light of the Holy Qur'an by explaining the influence of the social environment and relationships with individuals and groups on shaping human behavior and directing it toward righteousness or deviance. The study proceeds from the premise that human behavior does not develop in isolation from its social surroundings; rather, it is influenced by the ideas, values, and behavioral patterns individuals acquire through continuous interaction with others. The Holy Qur'an presents various examples illustrating the influence of companionship, role models, and the social environment on personality formation. It also warns against associating with corrupt companions and yielding to the pressure of deviant groups, while encouraging the selection of righteous companions who strengthen faith and moral values. The study adopts an inductive and analytical approach by examining relevant Qur'anic verses and analyzing their social and

educational implications. It concludes that the Qur'anic perspective on differential association combines an explanation of the social environment's influence on behavior with an affirmation of individual responsibility for personal choices. It also provides preventive and remedial measures for reducing deviance, foremost among which are reforming the social environment, strengthening self-monitoring, and promoting positive role models. **Keywords:** Differential Association, Holy Qur'an, Social Environment, Companionship, Behavioral Deviance.

المقدمة:

استند هذا البحث إلى مضامين ما يقارب ١٧٠ آية قرآنية ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الدراسة، وتم استخراج من خلال التقاسير الواردة تحت هذه الآيات أكثر من ١٣٣ عنواناً ذا صلة بالمضامين المطروحة. ويمكن في عرض إجمالي للنتائج الإشارة إلى النقاط الآتية، والتي تتضح من نصوص الآيات المختارة:

- الأبعاد المقصودة من المعاشرة: طُرحت ضمن مفاهيم متعددة مثل: الخلوة (إلى)، الصحبة أو المصاحبة، القعود (مع)، المعية، الخليط، الزوج، القرين (١٩). هذه المصطلحات تشير إلى مستويات مختلفة من التفاعل الاجتماعي والفردية، سواء في البيئة الخاصة أو العامة، وتشير إلى عمق العلاقة ومدى تأثيرها في تكوين الشخصية والسلوك.
- أثر المعاشرة في بيئات التفاعل المختلفة: شمل البحث الأسرة (الآباء، والوالدان، الزوجان، الأولاد)، العشيرة، الجماعات المرجعية والأقران، بيئات الجوار، القوم، والمجالس الثقافية المصغرة. وقد بين التحليل أنّ هذه البيئات تشكل قنوات متعددة للتأثير، وأن طبيعة العلاقات فيها تحدد مدى قوة أو ضعف التأثير على الفرد.
- المتغيرات وآليات التأثير: تم رصد عدة آليات منها: إنكار المعتقدات أو السخرية منها، الاستهزاء بالقيم، الوصم بإطلاق التسميات السلبية، الإيقاع في الفتنة، التزيين، شراء لهو الحديث، الدعوة، الخداع، التدرج في التسلّل خطوة بخطوة، الإكراه، الوعد بالنصرة، والتعلم. هذه العوامل تعمل على تعديل سلوك الفرد تدريجياً، بما قد يؤدي إلى التماهي مع البيئة أو الانجراف في الانحراف الاجتماعي.
- العوامل الممهّدة للمعاشرة والتأثر بها: إضافةً إلى ما سبق، أشارت النتائج إلى مضامين مثل: الإعجاب، الطلب، العزة، المحبة والمودة، مرض القلب، الاشتراك في الاتجاهات والمعتقدات والقيم، الحاجة إلى الأمن، طلب المنفعة، التعلّق العاطفي، الروابط والعلاقات الاجتماعية. هذه العوامل تعمل كحواجز أو محفّزات تؤثر في قدرة الفرد على المقاومة أو الانسجام مع الآخرين.
- آثار المعاشرة على الفرد: بينت النتائج أنّ للمعاشرة تأثيرات في أبعاد متعددة، منها: الضلال، إضعاف الروابط القويمة أو قطعها، تقليص فرص الاستقامة، الانخراط بصورة أعمق في الانحراف، والانغماس في شبكات منحرفة. وتحدث هذه التأثيرات عبر الاستجابة، الطاعة، الميل العاطفي، الانخراط النفسي، والتأثر القلبي، وغيرها من القنوات التي تربط الفرد بالبيئة المحيطة به. إنّ اجتماع هذه العناصر مع القضايا التفسيرية حول النتائج إلى مجموعة غنية من الأفكار المرتبطة بالمعاشرة التفاضلية، بحيث أصبح بالإمكان الادعاء - وإن بصورة أولية - بالوصول إلى ملامح نموذج نظري قرآني يصف تأثير المعاشرة على السلوك الفردي والاجتماعي، ويحدد العوامل والآليات المؤثرة في الانحراف والاستقامة على حد سواء.

٣-٢-١- تأثير المعاشرة في القرآن

لقد أقرّ القرآن الكريم بتأثير المعاشرة. قال تعالى في سورة الفرقان (الآيات ٢٧-٢٩) ﴿يَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ وقد ورد في أسباب النزول أنّ الحديث عن شخصٍ تأثر بروابطه العاطفية ومعاشرته المزبوجة لكلٍ من النبي ﷺ وأحد ألد أعدائه؛ فأسلم أولاً بدعوة النبي، ثم تحت ضغط الملامة وإرضاء لصاحبه الآخر، أنكر إسلامه وتجراً على النبي لإثبات ولائه له. قال تعالى في سورة فصلت (الآية ٢٥) ﴿وَقَبِضْنَا لَهُمْ قُرُونًا فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾. وقد أورد المفسرون في ذيل هذه الآية حديثاً عن النبي ﷺ، شبه فيه الجليس الصالح بحامل الطيب؛ فإن جالسته، وإن لم يعطك من عطوره، أصابك من ريحه وبقي أثره عليك زمناً. وشبهه الجليس السوء بناfox الكبير؛ فإن لم يُصَبِّك من شرر ناره، أصابك من دخانه وعلق بثوبك ريحه. وقال تعالى في سورة الصافات (الآيات ٥١-٥٧) ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَأُنْكَرُ لِمَنْ الْمَصْدَقَيْنِ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ * فَاطْلَعْ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ﴾. تُصوّر الآيات حواراً بين قرينين في الآخرة، أحدهما مؤمن والآخر غير مؤمن. فيتذكّر المؤمن لقاءاتها في الدنيا، وكيف كاد صاحبه أن يُزلزل إيمانه، فيقسم بالله أنه لولا نعمة

ربّه لهلك معه، وينسب ثباته إلى رحمة الله. وقال تعالى في سورة آل عمران (الآية ٢٨) ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. نُهي المؤمنون عن موالاة الكافرين واتخاذهم أولياء، مع استثناء حالة التقية والخوف. ويُستفاد أيضًا من قوله تعالى في سورة النساء (الآية ٤٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أن المخالطة في حد ذاتها ليست ممنوعة، ما لم تقترب بالكفر أو الاستهزاء بالدين وآيات الله. ولذلك يرى المفسرون أن علة النهي تعود إلى مضمون المعاشرة وما يُتبادل فيها من أقوال وأفكار ومفاهيم. وقال تعالى في سورة المائدة (الآية ٤٥) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾. أي إن من أسباب دخول بعضهم النار أنهم كانوا يخوضون مع أهل الباطل ويجالسونه ويشاركونهم باطلهم. وقال تعالى في سورة الشعراء (الآية ٩٩) ﴿وَمَا أَضَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمِينَ﴾. وهو إقرار من الكافرين في الآخرة بدمهم على مجالسة المجرمين واتباعهم. وقال تعالى في سورة البقرة (الآية ٢٢٢) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَجِيزِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا النَّسَاءَ فِي الْمَجِيزِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَافِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. وقد ذكر في تفسير هذه الآية أن آثار المعاشرة قد تقوى أو تضعف بتفاعلها مع متغيرات أخرى، ومنها تتوَع المجالس والبيئات، كما أشير إلى دور الجلساء في تغيير الاتجاهات والميول. وروى أن حمران بن أعين قال للإمام جعفر الصادق: إذا دخلنا عليك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا، فإذا خرجنا وخالطنا الناس أحببنا الدنيا. فأشار الإمام إلى أن هذا الأمر قد وقع مثله لأصحاب النبي ﷺ، وأنه من سنن الابتلاء الدائم للإنسان في هذه الدنيا، حيث تتنازع القلوب المؤثرات تبعًا للصحة و المجالسة^٢. قال تعالى في سورة هود (الآية ٤٦) ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطِكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. جاء ذلك جوابًا لنداء نبي الله نوح (عليه السلام) حين سأل نجاه ابنه؛ فقيل له: يا نوح، إنه ليس من أهلك الذين وعدت بنجاتهم، لأنه ذو عملٍ غير صالح، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أعطيك أن تكون من الجاهلين. وتدل الآية على أن رابطة الإيمان والعمل الصالح مقدمة على مجرد النسب. وإذ قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُفًا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا - فلما جاوزا قال لفته آتينا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا - قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إِلَّا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا - قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا - فوجدنا عبداً من عبادنا آتينا رَحْمَةً مِنْ عَيْنِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا - قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلمني مما علّمت رشداً - قال إنيك لن تستطيع معي صبرا - وكيف نصبر على ما لم تحط به خبرا - قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا - قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أخبرت لك منه ذكرا - فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرجتها لئلا تغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا - قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا - قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا - قال ألم أقل لك إنيك لن تستطيع معي صبرا - قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا - فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدوا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لأتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا - أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا - وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا - فأرنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما - وأما الجدار فكان لغلامين يتييمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا... وكذلك ورد في سورة العنكبوت، الآية ٨: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وجاء في سورة لقمان، الآية ١٥: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. تتناول هاتان الآيتان طبيعة العلاقة بين الأبناء والوالدين في إطار الأسرة، فتؤكدان وجوب الإحسان إليهما، مع النهي عن طاعتهما في حال الدعوة إلى الشرك، مما يكشف عن دقة التأثير والتأثر داخل البيئة الأسرية. كما صورت قصة مرافقة موسى (عليه السلام) للعبد الصالح في سورة الكهف. ففي الآية ٧٤ جاء: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا﴾. ثم في الآية ٨٠، عند بيان سر ذلك الفعل، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾. ويفهم من هذا التعبير أن الابن غير الصالح قد يكون سببا في جرّ والديه إلى الطغيان والكفر. وقد رأى بعض المفسرين أن هذه الآيات تدلّ على شدة أثر المعاشرة داخل الأسرة. وذهب آخرون إلى أنها تشير إلى فاعلية النفوذ الاجتماعي، ودور الضبط العاطفي في البيئة الأسرية، وقوة الروابط الوجدانية في تعزيز التأثير، واحتمال تأثر الأفراد بمعايير البرّ بالوالدين والطاعة لهما، فضلا عن وقوع مثل هذه التأثيرات في الواقع الاجتماعي^٦. در سورة فصلت، آيه ٢٥ آمده است:

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ وفقهاء التفسير يوضحون أن الله تعالى جعل لبعض الكافرين صحبةً وأقرنا من شياطين الإنس والجن يزنيون لهم ما بين أيديهم وما خلفهم من المعاصي والملاذات ويجعلونه في نظرهم جميلاً وطيباً، فتزداد عزيمتهم على الضلال حتى يستولي عليهم الضلال تماماً، ويحقّ عليهم القول كما كان مقرراً على الأمم الماضية من الجنّ والإنس الذين سبقوهم، فإنهم كانوا خاسرين. ويفهم من هذا النصّ أنّ الصحبة الرديئة تزيّن الفساد وتعمقه في نفس الإنسان حتى يغدو عاجزاً عن رؤية الحقّ والاكتفاء به.^٧ ويتكامل هذا المعنى مع ما ورد في سورة زخرف، الآيتان ٣٦-٣٧: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ﴾ بهذا يربط القرآن بين هذين الموضوعين مفهوم القرين والرفيق السيئ بأنه ليس مجرد وجود شخص سيئ في حياة الإنسان، بل هو صحبة تؤثر في فكره وقلبه فتزيّن له ضلاله وتبعده عن ذكر الله والسلوك القويم، وهو من قابل حالات الضلال التي وقعت للأمم السابقة من الجنّ والإنس.^٨ آيات ١٣٨-١٤٠ سورة النساء ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِرَّةُ فَإِنَّ الْعِرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ في آية ٢٨ من سورة آل عمران يأمر الله المؤمنين بقوله: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ وفي آيتي ٥٧ و ٥٨ من سورة المائدة يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وإذا ناديتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ هذان العددان يحذران المؤمنين من اتخاذ أولئك الذين يسخرون من دينهم ويستهزئون بعبادتهم من أهل الكتاب أو الكافرين كأصحاب أو أصدقاء مقربين.^٩ وقد فسّر المفسرون هذا التحذير بأن معايشة مثل هؤلاء وإقبالهم للانخراط في مجالس المؤمنين والتقليل من شأن الدين والآيات قد تؤدي إلى نقل أفكار ومواقف تضعف إيمانهم وتؤثر على منظوماتهم العقائدية والقيمية، وتجعلهم أكثر استعداداً لتقبل وجهات نظر معاكسة للعقيدة الإسلامية.^{١٠} الآية ٨ من سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تحذر هذه الآية الأبناء من أنه إذا حاول الآباء أن يجعلوا شيئاً شريكاً لله وهم لا يعلمون، فلا يطيعوهم. تبين مدى تأثير الصحبة في بيئة الأسرة. الآية ١٥ من سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُحِبَاةً لَيَهْدِي إِلَى الرُّحْمَةِ وَالْإِيمَانِ وَلَكِنْ لِنُنذِرَ أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ تحذر هذه الآية الأبناء أيضاً من اتباع ما ليس لهم به علم، وتشير إلى أهمية التمييز بين الحق والباطل داخل الأسرة. الآية ٢٠٢ من سورة الأعراف: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ توضح هذه الآية دور الأصدقاء في تشجيع الاستمرار على السلوكيات المنحرفة وإشراك الفرد أكثر فيها. جاء فيها أن شياطين الإنس والجن يضلّون أصدقاءهم ومن لهم رابطة أخوة أو صداقة معهم، ولا يتوقعون عن ذلك. وفق المفسرين، أساليبهم تشمل: تعزيز الاستمرار في الوسواس، الخداع، تشجيع الضلال عبر توفير الأسباب لذلك، المساعدة والمواكبة، تزيين الحالة التي يكون فيها الفرد، تجميل الذنوب أو تشتيت ذهن الفرد حتى لا يدرك قبح وفداحة الفعل.^{١١} الآية ٦ من سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَالُوهُمْ رَهَقًا﴾ تتحدث هذه الآية عن البشر الذين يلجأون إلى رجال من الجن، فيزدونهم طغياناً وجهلاً: ﴿إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْإِنْسِ كَانُوا يَلْجَأُونَ إِلَى رِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَيَزِدُّونَهُمْ غُرُورًا وَجَهْلًا﴾. الآيتان ١١٢ و ١١٣ من سورة الأنعام: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ولتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْنَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ تُعد هذه الآيات بياناً لتأثير الصحبة، إذ تذكر الآية الأولى أعداء من شياطين الإنس والجن يقفون أمام كل نبي ويخادعون بعضهم بعضاً لإيهام المستمعين. والآية الثانية تبين نتائج هذه الروابط: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يَسْتَمِعُونَ إِلَى هَذِهِ الْإِيحَاءَاتِ بَرَضًا، وَتَمِيلُ قُلُوبُهُمْ إِلَيْهَا، وَيُوافِقُونَ عَلَيْهَا، وَيَسْقُطُونَ فِي النِّهَايَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا الْأَشْرَارُ﴾. الآيات ٧ إلى ١٠ من سورة يوسف: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَعَلِّلِينَ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي الْغُيَابِ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ تظهر هذه الآيات الكريمة كيف نشأت الغيرة بين أبناء يعقوب عليه السلام، وكيف أن هذه الغيرة لم تكن مجرد شعور عابر، بل كانت نتيجة تراكمية لتفاعلات نفسية واجتماعية مركبة. ففي القرآن يُشير إلى أن في يوسف وإخوته آيات للسائلين، مما يبين أن هذه القصة تحمل دروساً متعددة حول النفس البشرية، العلاقات الأسرية، والديناميات الاجتماعية. وقد شعر الإخوة بالنقص النسبي مقارنة بما يملكه يوسف من حب الأب، ومكانة مميزة، واهتمام خاص، حتى وإن كانوا هم أنفسهم يمتلكون القدرات والكفاءات التي تؤهلهم لإدارة شؤون الأسرة والمساهمة

بفاعلية في حياتهم المشتركة.^٣ إن هؤلاء الإخوة، الذين كانت لديهم مبررات أخرى لغضبهم على يوسف عليه السلام، بما في ذلك الشعور بالتمييز أو التفضيل الأبوي، رأوا تجاهل الأب لهم على الرغم من قدراتهم وكفاءتهم سبباً للظلم في الأسرة ونظام إدارتها. هذا الشعور المشترك بالظلم والانكسار النفسي خلق رابطاً عاطفياً بينهم، أدى إلى تجمعات غير معتادة وسلوك منحرف، حيث بدأوا في التفكير بشكل جماعي بما يخالف العدالة والمنطق، مدفوعين بالعاطفة والمنافسة الداخلية. وقد أفرز هذا الانسجام العاطفي بين الإخوة مجموعة من القرارات الجماعية الخاطئة، التي لم تكن مستندة إلى التفكير العقلاني أو المبادئ الأخلاقية، بل إلى الرغبة في إعادة التوازن النفسي والاجتماعي داخل الأسرة. كان هدفهم الرئيسي التخلص من مصدر التفاوت بينهم وبين يوسف، واستعادة اهتمام الأب وحبه، والحصول على المكانة الاجتماعية التي اعتبروها مستحقة. ومع مرور الوقت، أدى هذا التوجه إلى سلسلة من الإجراءات التي عززت من الانحراف السلوكي، بما في ذلك التخطيط لإبعاد يوسف عن الأسرة بطريقة غير عادلة، وتحويل المشاعر الداخلية إلى أفعال سلبية تؤثر على كل من الفرد والمجتمع الأسري.^٤ يمكن القول إن هذه القصة تقدم نموذجاً واضحاً لكيفية أن المشاعر الفردية مثل الغيرة والحسد، عند تفاعلها مع التمييز الظاهر في الأسرة أو المجموعة، يمكن أن تتحول إلى ديناميات جماعية تؤدي إلى اتخاذ قرارات منحرفة. كما تُظهر أن التجمعات الاجتماعية القائمة على العاطفة المسيطرة، دون وعي بالقيم الأخلاقية أو الاعتبارات المنطقية، غالباً ما تنتج سلوكاً جماعياً منحرفاً يؤدي إلى آثار طويلة المدى على الفرد والمجتمع.^٥ في النهاية، أسفرت هذه الصلابة غير الواعية عن حل جماعي خاطئ، حيث كانت العاطفة المسيطرة على المجموعة هي المحرك الأساسي، وكان الهدف من وراء هذا السلوك هو التخلص من مصدر التفاوت الظاهر، جذب اهتمام الأب مرة أخرى، والحصول على المكانة الاجتماعية المستحقة، دون اعتبار لحق يوسف أو العدالة التي يجب أن تسود داخل الأسرة. هذه القصة، إذا نظرنا إليها من زاوية تحليلية اجتماعية ونفسية، تقدم درساً واضحاً في تأثير المشاعر الفردية والجماعية على اتخاذ القرار، وأهمية التوازن بين العاطفة والعقل في جميع علاقاتنا الاجتماعية، خصوصاً داخل الأسرة.^٦ الآية ١١٨ من سورة آل عمران: ﴿إِنَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تصف هذه الآية المسلمين الذين قبل الإسلام كانوا على علاقات وطيدة مع جيرانهم من اليهود، بما في ذلك الروابط القرابية، وعقود المعاشرة، وإرضاع الأطفال الآخرين، لكن بعد تأسيس الدولة الإسلامية، ورغم ظهور عداء اليهود، استمروا في هذه العلاقات واعتبروهم محرم أسرارهم.^٧ الآية ٢٨ من سورة العنكبوت: ﴿وَلَوْ طَافَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يشير هذا إلى لوط (ع) الذي قال لقومه: ﴿أَنْتُمْ تَرْتَكِبُونَ فِعْلاً قَبِيحًا لَمْ يَسْبِقْكُمْ بِهِ أَحَدٌ فِي الْعَالَمِينَ﴾. بعض المفسرين يعتبرون أن شكل هذا السلوك وعاداته الثقافية لم توجد في أي مجتمع سابق. الآية ٢٩ من نفس السورة تشير إلى تجمعاتهم العامة التي كانوا يظهرون فيها سلوكيات منحرفة، مما أزال الحياء الذي يمنع إظهار هذه الأفعال. الآية ٧٢ من سورة الحجر: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ توضح هذه الآية الكريمة كيف يساهم القبول الاجتماعي داخل الجماعة في تعزيز الأسس الثقافية والسلوكية لهذه الأمة، بحيث تتشكل أنماط محددة من السلوك الجمعي الذي ينسجم مع التقاليد السائدة، حتى وإن كانت منحرفة عن الحق والعدالة. ويظهر أفراد هذه الجماعة أحياناً في حالة من السكر الرمزي، بمعنى الانغماس الكامل في قيم وعادات منحرفة، دون إدراك حقيقي لما إذا كانت هذه الممارسات صحيحة أو خاطئة. هذا الانغماس ليس مجرد تصرف فردي، بل هو نتاج تراكمي للضغط الاجتماعي، التقاليد المستمرة، ونقص القدرة على التفكير النقدي والتمييز بين الحق والباطل.^٨ إن هذه الظاهرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمجموعة من الآيات القرآنية التي تناولت سلوك الأقوام الضالة، ومن أبرزها:

- آية ١٠٤ من سورة المائدة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ توضح هذه الآية كيف أن اتباع الجماعة للباطل والاندفاع وراء العادات دون تمحيص يؤدي إلى الانحراف، حيث يصبح السلوك الجمعي مقدساً في ذهنهم لمجرد أنه مألوف، رغم مخالفته لتوجيهات الله.

- آية ٢٢ من سورة الزخرف: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ أَصْنَامًا كَمَا كَانُوا يُدْعُونَ إِلَيْهَا فَلَا يُغْنُونَ عَنْهُمْ شَيْئًا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ هُدُوا فَإِنَّهُمْ لَا يَزَوْنَ﴾ تشير هذه الآية إلى الأقوام التي تنتسب بالتقاليد السابقة بشكل أعمى، معتبرة أن اتباعها دليل على الهداية، بينما هم في الحقيقة أصم وأعمى عن الحق، غير قادرين على إدراك مخالفة أفعالهم للرسائل الإلهية.

- آيات ١٧٠ و ١٧١ من سورة البقرة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ سَيِّئَاتٍ مَا قَدَّمُوا لَهَا وَيَعْمَلُونَ بغيرِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠) ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنَّهُمْ يُسْرَفُونَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا غَيْرَ مُقْصُودٍ﴾ (البقرة: ١٧١) هذان البيتان يوضحان كيف أن الانغماس في التقليد الأعمى يؤدي إلى الابتعاد عن الحق، ويجعل الأفراد عاجزين عن فهم الرسائل الإلهية، فتصبح الجماعة في دائرة مستمرة من الانحراف الاجتماعي والثقافي.^٩ ومن خلال هذه الآيات، يتضح أن القبول الاجتماعي المفرط يؤدي إلى نوع من الطمأنينة الزائفة داخل الجماعة، حيث

يشعر الفرد بأنه على الطريق الصحيح لمجرد اتباعه لما يفعله الآخرون، دون مساءلة أو نقد. هذا النوع من الانغماس الجماعي في التقاليد والممارسات، حتى وإن كانت منحرفة، يعزز تضخيم التأثير الاجتماعي على السلوك الفردي، ويخلق ما يمكن تسميته بـ «العمى الجمعي» أو العجز الجماعي عن التمييز بين الحق والباطل.^{٢٠}

المصادر

١. تميمي آمدي، عبدالواحد بن محمد، غرر الحكم ودررالكلم، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١١.
٢. حراني، حسن بن شعبه، تحف العقول، ط ١، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٤.
٣. حرامل، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ط ١، بيروت دارالكتب العلمية، ١٤٠٩.
٤. رازي، ابوالفتح، روض الجنان و روح الجنان في تفسير القرآن، ط ١، بيروت دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨.
٥. رازي، ابوالفتح، روض الجنان و روح الجنان في تفسير القرآن، ط ١، بيروت دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨.
٦. السيف، محمد بن ابراهيم، تفسير الانحراف والجريمة في منهج القرآن الكريم ومنهج علم الاجتماع، جامعه الازهر، المجلد ٣١، العدد ٤، ٢٠١٩.
٧. طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٣٧٣.
٨. طبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٦.
٩. طبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٦.
١٠. طريحي، فخرالدين، مجمع البحرين، ط ١، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٧.
١١. طلعت عيسى، محمد، الرعاية الاجتماعية للحداث المنحرفين، القاهرة مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، ٢٠٠٤.
١٢. طوسي، ابوجعفر محمد بن حسن، تهذيب الاحكام، ط ١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩.
١٣. فضل الله، سيد محمد حسين. من وحي القرآن. الطبعة الثانية. بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. ١٤١٩.
١٤. كليني، محمد بن يعقوب، الكافي، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٤.
١٥. متقى هندی، علاء الدين علي بن حسام، كنز العمال، ط ١، بيروت، دار المعارف، ١٤١٠.
١٦. مدرسي، سيد محمد تقی، من هدى القرآن، ط ١، طهران، دار محبي الحسين، ١٤١٩.
١٧. نوري، حسين، مستدرک الوسائل، ط ١، قم موسسه آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٨.
١٨. نوري، سعدون عبدالله، العوامل الاجتماع الموثرة في ارتكاب الجريمة، مجله جامعه الانبار للعلوم الانسانية، العدد الاول، ٢٠١١.

هوامش البحث

- ^١ السيف، محمد بن ابراهيم، تفسير الانحراف والجريمة في منهج القرآن الكريم ومنهج علم الاجتماع، جامعه الازهر، المجلد ٣١، العدد ٤، ٢٠١٩، ص ٣٣٥
- ^٢ نوري، سعدون عبدالله، العوامل الاجتماع الموثرة في ارتكاب الجريمة، مجله جامعه الانبار للعلوم الانسانية، العدد الاول، ٢٠١١، ص ١٢٨
- ^٣ كليني، محمد بن يعقوب، الكافي، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٤، ص ٤٢٤.
- ^٤ طبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٦، ص ٣٠٨
- ^٥ طلعت عيسى، محمد، الرعاية الاجتماعية للحداث المنحرفين، القاهرة مصر، مكتبة القاهرة الحديثة، ٢٠٠٤، ص ٢٩
- ^٦ مدرسي، سيد محمد تقی، من هدى القرآن، ط ١، طهران، دار محبي الحسين، ١٤١٩، ص ٤١٧.
- ^٧ تميمي آمدي، عبدالواحد بن محمد، غرر الحكم ودررالكلم، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤١١، ص ٤٣٢
- ^٨ مدرسي، المصدر نفسه، ص ٤١٩
- ^٩ نوري، حسين، مستدرک الوسائل، ط ١، قم موسسه آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٨، ص ١٧٨
- ^{١٠} فضل الله، سيد محمد حسين. من وحي القرآن. الطبعة الثانية. بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. ١٤١٩، ص ١٧٠.
- ^{١١} حرامل، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، ط ١، بيروت دارالكتب العلمية، ١٤٠٩، ص ٣٨٦

- ^{١٢} طباطبائي، سيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٣٧٣، ص ١٧٠.
- ^{١٣} طبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٦، ص ١٤٨
- ^{١٤} رازي، ابوالفتح، روض الجنان و روح الجنان في تفسير القرآن، ط ١، بيروت دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨، ص ٢١٩
- ^{١٥} متقى هندی، علاء الدين علي بن حسام، كنز العمال، ط ١، بيروت، دار المعارف، ١٤١٠، ص ٣٠٥
- ^{١٦} فضل الله، المصدر السابق، ص ١٧٠.
- ^{١٧} رازي، ابوالفتح، روض الجنان و روح الجنان في تفسير القرآن، ط ١، بيروت دار احياء التراث العربي، ١٤٠٨، ص ١٨٦
- ^{١٨} طريحي، فخرالدين، مجمع البحرين، ط ١، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٧، ص ٢١٦
- ^{١٩} طوسي، ابوجعفر محمد بن حسن، تهذيب الاحكام، ط ١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٠٩، ص ٤٤٨
- ^{٢٠} حراني، حسن بن شعبه، تحف العقول، ط ١، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤٠٤، ص ٣٠٤